٧ ـ أزواج عمر بن عبد العزيز

أخرج «ابن الجوزي» في كتابه «سيرة عمر بن عبد العزيز»: قال ابن سعد: وهو «عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس».

أمه «أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب»، ويكنَّى «أبا حفص»، ويقال له: «أشجّ بني أمية».

وقال: حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده أسلم، قال: بينا أنا مع «عمر بن الخطاب»، وهو يعُسُّ بالمدينة، إذ أعيا فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه! قومي إلى ذلك اللبن فامْذُقيه بالماء، فقالت لها: يا أمتاه! أو ما علمت بما كان من عَزْمَة أمير المؤمنين اليوم؟

فقالت: وما كان من عَزْمته يا بنية!؟ قالت: إنه أمر مناديَه، فنادى أَلَّا يُشَابَ اللبن بالماء، فقالت لها: يا بنتاه! قومي إلى اللبن فَامْذُقيه بالماء، فإنك بوضع لا يراك «عمر»، ولا منادي «عمر»، فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه! والله! ما كنت لأطيعه في الملإ وأعصي في الخلا.

و«عمر» يسمع كل ذلك، فقال: يا أسلم! علِّم الباب، واعرف الموضع، ثم مضى في عسسه، فلما أصبح قال: يا أسلم! امض إلى ذلك الموضع فانظر من القائلة، ومن المقول لها، وهل لهم من بعل؟

فأتيت الموضع فنظرت، فإذا الجارية أَيِّمٌ لا بعل لها، وإذا تِيك أمها، وإذا ليس لهما رجل، فأتيت «عمر بن الخطاب» فأخبرته، فدعا «عمر» ولده فجمعهم، فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أو زوجة؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء، ما سبقه أحد منكم إلى هذه الجارية.

فقال «عبد الله»: لي زوجة، وقال «عبد الرحمٰن»: لي زوجة، وقال

«عاصم»: يا أبتاه! لا زوجة لي فزوجني، فبعث إلى الجارية، فزوجها من «عاصم» فولدت لعاصم بنتاً، وولدت البنت بنتاً، وولدت الابنة «عمر بن عبد العزيز» ـ رحمه الله ـ.

قلت: هكذا وقع في رواية الآجري، فلا أدري ممن الغلط، وإنما الصواب: فولدت لعاصم بنتاً، وولدت البنت «عمر بن عبد العزيز»، كذلك نسبه العلماء، كما ذكرنا عن «محمد بن سعد» وغيره[1].

لقد كان «عمر بن عبد العزيز» نسمة صالحة من ذرية طيبة، وكان إذا أراد أحداً ليستعمله على الناس، يقول: لا حاجة بي إلى رجل صبغ يده بدماء المسلمين. وكان «عمر» ﷺ لا يخفي سخطه على «الحجاج» وصنائعه، ويكره التأسي به، والاستنان بسننه.

قال ابن الجوزي: حدثنا محمد بن حمزة، قال: حدثنا الثقة أن «عمر بن عبد العزيز» كتب إلى «عدي بن أرطاة»: أما بعد، فإني كتبت إليك بكتب كثيرة أرجو بذلك الخير من الله تعالى، والثواب عليه، وأنهاك فيها عن أمور «الحجاج بن يوسف»، وأرغب عنها، وعن اقتدائك بها، فإن «الحجاج» كان بلاءً، وافق خطيئة قوم بأعمالهم، فبلغ الله ﷻ في مدته ما أحب من ذلك، ثم انقطع ذلك، وأقبلت عاقبة الله ﷻ، فلو لم يكن ذلك إلَّا يوماً واحداً، أو جمعة واحدة، كان ذلك عطاء من الله ﷻ، ونهيتك عن فعله في الصلاة، فإنه كان يؤخرها تأخيراً لا يحل له، ونهيتك عن فعله في الزكاة، فإنه كان يأخذها في غير حقها، ثم يسيء مواقعها، فاجتنب ذلك منه، واحذر العمل به، فإن الله ﷻ قد أراح منه، وطَهَّرَ العباد والبلاد من شره، والسلام.

قال: حدثنا عمرو بن عثمان، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت جدي، قال: كتب «عمر بن عبد العزيز» إلى «عدي بن أرطاة»: بلغني أنك تستن بسنن «الحجاج»، فلا تستَنَّ بسننه، فإنه كان يصلي الصلاة لغير وقتها، ويأخذ الزكاة لخير حقها، وكان لما سوى ذلك أضيع.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، ص: ١٢ ـ ١٣.

قال: حدثا مبشر بن أبي الفرات، قال: كنت عاملاً لعمر بن عبد العزيز، فكنت أختم على بيادر أهل الذمَّة، فجاءني كتاب «عمر بن عبد العزيز»: ألَّا تفعل، فإنه بلغني أنها كانت من صنائع «الحجاج»، وأنا أكره أن أتأسى به[١].

وكان ﷺ يمتحن الولاة قبل استعمالهم ليكون من أمرهم على بصيرة، ولئلا يختار من لا يصلح للعمل الذي سيعهد به إليه.

قال ابن الجوزي: حدثنا ابن عائشة، عن جويرية بن أسماء، قال: لما ولي «عمر بن عبد العزيز» الخلافة، وفد عليه «بلال بن أبي بردة»، فهنَّأه، فقال: من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين شرَّفَتْه فقد شرَّفْتَها، ومن كانت زانته فقد زِنْتَها، وأنت والله! كما قال «مالك بن أسماء»:

وتزيدين طيِّب الطِّيب طيباً ... إن تمسِّيه أين مثلك أينا؟
وإذا الدر زان حسنَ وجوهٍ ... كان للدر حسن وجهك زَيْنَا

فجزاه «عمر» خيراً، ولزم بلال «المسجد» يصلي، ويقرأ ليله ونهاره، فهَمَّ «عمر» أن يوليه العراق، ثم قال: هذا رجل له فضل، فدسَّ إليه ثقة له، فقال له: إن عملت لك في ولاية في العراق، ما تعطيني؟ فضمن له مالاً جليلاً، فأخبر بذلك «عمر»، فنفاه وأخرجه، وقال:

يا أهل العراق! إن صاحبكم أعطي مقولاً، ولم يعط معقولاً، وزادت بلاغته، ونقصت زهادته[٢].

وصدق الذي قال:

من تحلَّى بغير ما هو فيه ... فضح الامتحان ما يدعيه

وقال «الدميري» في «حياة الحيوان الكبرى»، في ترجمته لعمر بن عبد العزيز: وروي أنه وقع في زمانه غلاء عظيم، فقدم عليه وفد من العرب، فاختاروا رجلاً منهم لخطابه، فتقدم إليه، وقال: يا أمير المؤمنين! إنا وفدنا إليك

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، ص: ١١١.
(٢) سرة عمر بن عبد العزيز، ص: ١١٧.

من ضرورة عظيمة، وراحتنا في بيت المال وماله لا يَخْلُو من أن يكون لله أو لعباده أو لك، فإن كان لله فالله غني عنه، وإن كان لعباده فآتهم إياه، وإن كان لك فتصدق به علينا إن الله يجزي المتصدقين. فتغرغرت عينا «عمر» ـ رضي الله تعالى عنه ـ بالدموع، وقال: هو كما ذكرت، وأمر بحوائجهم فقضيت، فهَمَّ الأعرابي بالانصراف، فقال «عمر»: أيها الرجل! كما أوصلت حوائج عباد الله إليَّ فأوصل حاجتي، وارفع فاقتي إلى الله، فقال الأعرابي: إلٰهي! اصنع بعمر بن عبد العزيز كصنيعه في عبادك، فما استتمَّ كلامه حتى ارتفع غيم عظيم، وأمطرت السماء مطراً كثيراً، فجاء في المطر بردة كبيرة، فوقعت على جرَّة، فانكسرت، فخرج منها كاغَد ـ صحيفة ـ مكتوب فيه: هذه براءة من الله العزيز الجبار، لعمر بن عبد العزيز من النار.

قال رجاء بن حيوة: كان «عمر بن عبد العزيز» رضي الله تعالى عنه، من أعظم الناس، وأكيس الناس، وأجملهم في مشيته ولبسه، فلما استخلف قومت ثيابه وعمامته وقميصه وقَباؤه وخفاه ورداؤه، فإذا هن يعدلن اثني عشر درهماً[1].

ووصلت سيرته في العدل إلى سيرة جده «عمر بن الخطاب» ﷺ، واغتنى الناس حتى إنهم لم يجدوا من يقبل منهم زكاة أموالهم، فَجُعِلَتْ في بيت المال.

وأما عن نسائه وأبنائه، فقد روى «ابن عساكر» في «أعلام النساء» عن رجاء بن حيوة، قال: إن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، قال: دخلت على أمي حين بويع لعمر بن عبد العزيز بالخلافة، وهي التي كانت تلي خدمة «عمر» ومعي أخي «يزيد بن عمر»، فرأت فينا سروراً، وذلك من الغد، فقالت: ما يسركما من خلافة أبيكما؟ فوالله! لا تريان في خلافته من الدنيا شيئاً يسركما، فقلت: وفيم ذاك؟ قالت: دخل عليَّ «عمر» حين صلى العشاءَ بالناس، وهو يبكي، فأتى مسجده، فوالله! ما دنا من فراشه، ولا ثنى له جنباً ولا زال يبكي راكعاً وساجداً حتى خرج من عندي إلى صلاة الفجر[2]. وأم عبد العزيز هذه أم ولد كانت لعمر.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى (١/ ٦٩).

(٢) أعلام النساء، ص: ٨٣.

وتزوج «فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية».

وعن أبي هاشم القرشي، قال: قال «عبد الملك بن مروان» لعمر بن عبد العزيز: قد زوجك أمير المؤمنين «فاطمة بنت عبد الملك» فقال: وصلك الله يا أمير المؤمنين! فقد كفيتَ المسألة، وأجزلتَ العطية، فأعجب به، فقال بعض ولد «عبد الملك»: هذا كلام تعلَّمه فأدَّاه، فدخل على «عبد الملك» فقال: يا عمر! كيف نفقتك؟ قال: بين الحسبتين، قال: وما هما؟ قال: قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفُرقان، الآية: ٦٧]، فقال عبد الملك: من علمه هذا؟

عن عمارة بن غزية، قال: لما بنى «عمر بن عبد العزيز» بفاطمة بنت عبد الملك بن مروان، فكانوا يسرجون القناديل بالغالية مكان الزيت.

عن خليد بن عجلان، قال: كان عند «فاطمة بنت عبد الملك» جوهر، فقال لها «عمر»: من أين صار هذا إليك؟ قالت: أعطانيه أمير المؤمنين، قال: إما أن ترديه إلى بيت المال، وإما أن تأذني في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت، قالت: لا بل أختارك على أضعافه لو كان لي، فوَضَعَته في بيت المال، فلما وَلِيَ «يزيد بن عبد الملك» قال لها: إن شئت رددته عليك أو قيَّمته؟ قالت: لا أريده، طبت به نفساً في حياته، فأرجع فيه بعد موته! لا حاجة لي فيه، فقسمه «يزيد» بين أهله وولده.

وأخرج «الدميري» في «حياة الحيوان الكبرى»، عن ابن عساكر وغيره أن «عمر بن عبد العزيز» رضي الله تعالى عنه، كان قد شَدَّد على أقاربه، وانتزع كثيراً مما في أيديهم فتبرموا به وسَمُّوه، ويروى أنه دعا بخادمه الذي سمه، فقال له: ويحك! ما حملك على أن سقيتني السم؟ قال: ألف دينار، أعطيتها، قال: هاتها، فجاء بها، فأمر بطرحها في بيت مال المسلمين، وقال لخادمه: اخرج بحيث لا يراك أحد[1].

(١) حياة الحيوان الكبرى (١/ ٧٠).

وكان «عمر» ﷺ كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازمُ
يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى ... كما غُرَّ باللذات في النوم حالمُ
وشغلك فيما سوف تكره غِبَّه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

وأخرج «ابن عساكر» في «أعلام النساء»، عن المغيرة بن حكيم، عن فاطمة بنت عبد الملك أنها أخبرته: أن «عمر بن عبد العزيز» كان قد ضجر على جارية من جواريها في مرضه الذي هلك فيه، فكان لا يراها إلا انتهرها، وقال: أخرجوها، فلما كان يوم، ونزلنا بعض الشام، قال: دخلت علينا فانتهرها، ثم قال: اخرجوا عني، ثم شخص ببصره إلى كوة في القيطون ـ المخدع ـ فقال: مرحباً وأهلاً! والله! إني لأرى وجوهاً ما هي بوجوه إنس ولا جن، فارتفعوا عني، وقال: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القَصَص، الآية: ٨٣] قالت: فخرجنا كلنا ملياً، ثم قال «مسلمة» لي: يا أخية! والله! لقد طال مكثنا عن أمير المؤمنين، قالت: فدخلنا عليه، فإذا هو مسجًّى بثوبه، وقد استقبل به القبلة، والله! ما كان على القبلة[1]. وتوفي سنة / ١٠١ هـ/ لعشر ليالٍ بقين من رجب، رحمه الله تعالى.

(١) أعلام النساء، ص: ٢٨٤.